

أناشيد صوفية

جيتا انجالي

للساعر الفيلسوف طاغور

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

— ٤٩ —

— ٤٩ —

لقد هبطت عن عرشك لتقف بإزاء باب كوخى
كنت جالساً وحدى في زاوية أترنم بالألحان ألفت أنت إليها
سمك فهبطت عن عرشك لتقف بإزاء باب كوخى
وفي فنائك احتشد العطاء والأغاني تتردد هناك في كل حين ؛
غير أن لحناً بسيطاً ارتفع بين هذه الأغاني فجذبك إليه ؛ هو لحن
قصير فيه الشجن اختلط بموسيقى العالم العظمى فهبطت وسمك
هدية من زهر ... هبطت لتقف بإزاء باب كوخى

— ٥٠ —

وانطلقت أتكفّف الناس وانتقل من باب إلى باب على طريق
القرية . ثم بدت عرشك الذهبية عند الأفق كأنها الحلم اللذيذ
فمجت : ترى من يكون ملك الملوك هذا !
ولم الأمل في نفسى وخُيّل إليّ أن أيام السوء قد انقضت
فوقفت أنتظر الهبات ، وهي تعطى في غير سؤال ؛ والمال وهو
ينثر هنا وهناك

ووقفت العربة بإزائي . وحين وقع بصرك على دلفت نحوى
وعلى شفتيك ابتسامة ، فاستشعرت السعادة في نفسى ؛ وعلى حين
لجأة مددت إليّ يمينك وأنت تقول : « ماذا عندك لتهيه لي ؟ »
آه ! إنها دعاية طريقة أن تمد يدك تسأل شحاذاً . واضطربت
وسيطرت على الحيرة ثم تناولت من سلتي أصغر حبة قمح ...
تناولتها في بطلاء وقدمتها إليك

لشد ما عجبت حين أفرغت سلتي عند الغروب ، فالفيت بين
مناخى الحقير حبة من ذهب في قدر حبة القمح ، فرحت أبكي
في حرقة وأسى لأننى لم أجد في نفسى القوة على أن أقدم إليك
كل ما أملك

— ٥١ —

أظلم الليل وانتهى عملنا اليومى ، وخيل إلينا أن آخر ضيف
قد قدم لأن أبواب القرية عثقت ؛ غير أن قائلًا قال : « سيأتى المنت »

فسخرنا منه وقلنا : « لا ، لا يمكن ! »

وبدا لنا كأن طارقاً يرق الباب فقلنا إنه الريح ؛ ثم أطفأنا
المصابيح وانطلقنا إلى الفراش ؛ غير أن قائلًا قال : « إنه رسول ! »
فضحكنا منه وقلنا : « لا ، بل هو الريح ! »

وفي أعماق الليل دوى صوت نخيل إلينا - والنماس يتألبنا -
أنه همزم الرعد ؛ ثم زلزلت الأرض زلزالها ، واضطربت الحيطان
ففرزنا عن مراقبنا ، وقال قائل : « إنه صوت عربات » فقلنا
في صوت الحالم : « لا ، إنه جلجلة السحب ! »

وفي جوف الليل رن في مسامعنا دوى الطبل ، ونادى مناد :
« هيو ، لا تنوا ! » فوضعنا أيدينا على قلوبنا والخوف ينفضنا
نفضاً شديداً ، وقال قائل : « وبلى ، هاهى ذى راية الملك مخفق ! »
فاندفعنا نصيح : « لقد أزف الوقت فلا تتكاسلوا ! »

لقد جاء الملك ، ولكن أين المشاعل ؟ أين الأكاليل ؟ أين
العرش ليستوى عليه ؟ يا للقضيحة ، يا للعار ! أين الدار ؟ أين
الزينة ؟ فقال قائل : « عبتا نصيحون ، حيوه بأيد فارغة وادعوه
إلى حجراتكم المعطلة ... »

افتحوا الأبواب ، واعرفوا الألحان ؛ في جوف الليل جاء
الملك إلى بيتنا الموحش المظلم . إن الرعد يزجر في السماء ، وإن البرق
يزيح أستار الظلام . هات فراشك البالي وافرشه في الفناء ؛ فهو
قد جاء على حين بنته مع العاصفة الهوجاء ... هو رب الليل
الحالك المهيب ...

— ٥٢ —

لقد أردت أن أطلب إليك عقد الورد الذى تحلى به جيدك
غير أنى لم أجسر ، فانتظرت حتى تبرح عند الصباح . وحين
غادرت وجدت بقايا منثورة على الفراش ، وفي السحر رحت
أقبض عن الوريقات المفقودة كأنى شحاذ

آه ، ماذا وجدت ؟ ماذا تركت ذكرى هواك ؟ إنك لم تترك
الزهر ولا العبير ولا زجاجة عطر بل سيفك العظيم يتألق كشعلة
من لهب ، وهو ثقيل كالساعة . لقد اخترق نافذتى أول شعاع
فتى من أشعة الصباح فهمّ الطير يسفوق ويسأل : « أيتها الفتاة ،
ماذا أصبت ؟ » لا ، لم يكن الزهر ولا العبير ولا زجاجة عطر ، بل
هو سيفك المهيب

وجلست أفكر في دهشة : ماذا عسى أن تكون هذه الهدية ؟
لم أجد له نجاً ، وإنى لأحجل أن أنقله وأنا حطام مهدم ، وإنه
ليؤذبنى إن ضمته إلى صدرى ، ولكنى سأحمل في قلبي هذا

قد انطوت ، والطير يفرد في كلال ، والأوراق تحف من فوق ،
وأنا جالس إلى نفسي أفكر وأفكر

— ٥٤ —

ما يزال الفتور يسيطر على قلبك ، والنماس يستولى على عينيك
أفلم يلفك أن الزهرة تحكم بين الشوك في كبرياء ؟ استيقظ ؛
أوه ، انتبه ! لاندع الزمان يمر عبثاً
عند نهاية الطريق الصخري وفي بلاد الوحدة الطاهرة ...
هناك يجلس صاحبي في عزلة ، فلا يندعه . استيقظ ؛ أوه ، انتبه !
ماذا لو أن السماء تلهبت واضطربت في قبض الظهيرة المحرق ...
ماذا لو أن الرمال المتأججة نشرت لظلي الظلماً ...

أفلا نجد الطرب في قرار قلبك ؟ أفلا تتفجر قيثارة الطريق
— في كل خطوة من خطواتك — عن لحن شجي فيه الألم ؟

— ٥٥ —

إن رغبتك تامة في ، وإنه أنت الذي هبطت إلى ؛ فمن عسى
أن يكون حبيبك — يا إله الملك — إن لم أكنه ؟

لقد اتخذتني لك شريكاً أقاسمك هذا التراء العريض ؛ ففي
قلبي السرور اللانهائي أستمد منه منك ، وفي حياتي مشيتك
تسيطر على

لهذا زينت نفسك — وأنت ملك الملوك — بالجمال الخلاب
لتأسر قلبي ، ولهذا بذلت حبك في سبيل من تحب ، فظهرت
للأعين كائنين امتزجا معاً

— ٥٦ —

أيها النور ، أيها النور الذي تشرق على العالم ، وتقبل العميون
وتنتفج البهجة في القلوب ا

آه ، إن النور يرقص — يا عزيزي — في أعماق حياتي ،
إنه يضطرب بين أوتار قلبي ؛ إن السماء تنفجر ، والريح تهب
عاصفة ، ورنات الضحك تتردد على الأرض

إن الفراش ينشر أجنحته على لجة النور ، والزئبق والياسمين
يضطرب فوق موجها

لقد تحطم النور فوق كل سحابة — يا عزيزي — إلى قطع
من لجين استحالت إلى جواهر تتألق

إن البهجة تتناثر — يا حبيبي — على أوراق الشجر فيعم
السرور ، وإن نهر السماء يفيض على نشاطه فيملاً الطرب كل مكان

فأمل محمود مهيبت

الشرف ... هذا السبب الثقيل من الآلام ... هذه الهدية الغالية
والآن لم يبق في هذه الدنيا ما أخافه لأنك أنت نصيري . لقد

ترعت عن رقيق الموت ، فسأفديه أنا بروحي . إن سيفك معي
لأحطم به قيودي فلا يبق في هذه الدنيا ما أخافه

سأززع عن نفسي — منذ الآن — زخرف الحياة ؛ ولن
أتواري بعد — يا مليك القلب — في ركن أبكي ، ولن أستنجي

أورق من خافي فأنت قد حبوته سيفك لأزين به فلن أتحملي
بسواه من زينة الحياة

ما أجل سوارك وقد زينته النجوم ، وورصته كواكب
الحلية ؛ غير أن سيفك أحلى منه في عيني وهو يلمع كأنه جناح

طير فينشو^(١) للقدس ، وقد انتشر في أشعة التروب الحمراء
إنه يضطر كأنه آخر أحداث الحياة حين يسيطر الألم على

الإنسان في ساعة الاحتضار فيذهله عن نفسه ؛ ثم هو يتألق
كأنه شعاع الوجود الطاهر حين يرسل شرارة حامية فتلتهم كل

المواطئ الأرضية

ما أجل سوارك وقد زينته كواكب الحلية ؛ غير أن سيفك
— يا إله الرعد — قد رصع بجبال باهر يفوت الوصف ويفوق الخيال

— ٥٣ —

لن أطلب إليك شيئاً ؛ ولن أذكر اسمي عند مسمعك .
وحين تنأى عني سأقف في صمت . لقد كنت لدى البر وحدي

والظل وارف ، والفتيات ينطلقن إلى دورهن ، يحملن حيرارهن
الترعة ؛ لقد كاديني : « تعال معنا ، إنه بضيقك أن تنتظر من لدن

الصباح حتى الظهر » غير أنني ترددت حيناً ثم ذهلت عن نفسي
وسط الخواطر المضطربة

ما سمعت ديبك حين جئت ، وكان في نظراتك الأسمى حين
وقع بصرك علي ، وكان في صوتك أثر الأين والتعب حين قلت :

« آه ، إنني مسافر ظمآن » ففزعت عن أحلامي لأصب الماء في
كفيك ، فحفت الأوراق من فوقنا ، وانبت شدو الطير يمزق

سكون الظلام ، وفاح أريج عطر الزهرات من منعطف الطريق
ووقفت صامتة في خجل حين سألتني عن اسمي ، ماذا أسديت

إليك فتسأل عن اسمي لتذكرني ؟ ولكن ذكرى الماء الذي أطفأت
به حررتك متعلق بقلبي وتبعث فيه الرضى . إن ساعات الصباح

(١) فينشو : أحد آلهة التليث الهندي